المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله... وبعد.

إن قضية الاحتقان بين المسلمين، والنصارى في مصر تمثل انزعاجاً كبيراً لدى كل من يعنيه استقرار، وأمن مصر، وقد بذلت جهات عديدة جهوداً كبيرة لمحاولة رأب هذا الصدع، والعمل على تهدئة التوتر، والاحتقان الذي يُطل برأسه بين الحين، والآخر، إلا أنه وللأسف الشديد جاءت هذه الحلول على شكل مسكنات تنتهي بنهاية المفعول، ويعود العرض كما كان، ومن هذه الحلول ما وُضع دون دراسة، أو صدر من غير المتخصصين ممن لا يدركون حقيقة الأديان، فكانت هذه الحلول سبباً في زياد عملية الاحتقان.

وبعد سقوط النظام بعد أحداث25 يناير 2011م، وبعد أن تابع الجميع حجم الفساد الذي كان ينخر في مؤسسات الدولة انطلقت المظاهرات الفئوية التي لم تراع ظروف مصر الراهنة، وكان للنصارى في الخارج، والداخل دور في المطالبات، وانضم إليهم بعض العلمانيين، والليبراليين مما أثار حفيظة المسلمين، وفتحوا جروحاً كنا نظن أنها اندملت، ومما زاد من المرارة ما حدث في قرية صول[1]، وما أعقب ذلك من تظاهرات، ومصادمات سقط فيها بعض القتلى، ومئات المصابين في محاولة بعض النصارى اقتحام ماسبيرو، وفي الجانب الآخر اعتصم عدد ليس بالقليل من التيارات الدينية، والحقوقية أمام مجلس الوزراء، وفتحوا ملف وفاء

(١)التابعة لمركز أطفيح بحلوان.

قسطنطين، وكامليا شحاتة اللاتي أسلمن، وسلمهن النظام البائد للكنيسة، ورغم تدخل بعض العقلاء من الجانبين لتهدئة الأوضاع، وإعادة الأمور إلى نصابها إلا أن هناك من يزكي هذه الأحداث، ولا يريد لبلدنا أمناً، واستقراراً، وبعد أن كان سقف المطالبات يقف عند إعادة بناء الكنيسة رأينا من يقحم المادة الثانية من الدستور في القضية، ويطالب بحذفها من دستور البلاد في وقاحة، وانتهازية ليس لها نظير.

وقد أطل بعض أقباط المهجر على هذا المشهد الدرامي فأدلوا بدلوهم، وانطلق دعاة الفتنة عبر بعض الفضائيات المغرضة كقناة الحقيقة التي ليس لها من اسمها نصيب، والتي تريدها حرباً لا تبقي ولا تذر، وأحمد الله تعالى أنها لا تبث عبر القمر العربي: NileSat- أو Arabsat وإلا لكانت النتيجة لا يحمد عقباها، وانتقل الأمر من الفضائيات إلى الشبكة العنكبوتية التي أصبحت مرتعاً لهواة الصيد في الماء العكر فأنشأوا المواقع، وغرف الشات، وشنوا حرباً لا ينقصها سوى الطائرات، والدبابات.

والشيء المؤكد أن العلاقة بين المسلمين، والنصارى في مصر- طوال التاريخ- تميزت بأنها علاقة متينة، وقوية، وسوية حتى وصل الأمر إلى حد القول بأن النصارى في مصر، وخاصة الأرثوذكس منهم ليسوا أقلية، بل جزءاً لا يتجزأ من النسيج الوطني المصري، والعربي، والإسلامي، وكان ذلك يرجع إلى مجموعة من العوامل البنيوية منها التسامح الإسلامي المعروف، وسماح الإسلام لغير المسلمين بالمشاركة في البناء الثقافي، والحضاري، وقد ساهم النصارى المصريون في ذلك البناء بقوة، وبرز منهم العديد من الرموز، مثل خليل اليازجي الذي دافع عن اللغة العربية في وجه الذين يهاجمونها، أو يدعون إلى اللغة العامية مثل صحيفة المقتطف عام١٨٨١م.

ويحتفظ النصارى المنصفون للإسلام أنه حين دخل مصر حرر النصارى من الاضطهاد الروماني، وكان لذلك أثره بالإضافة إلى عوامل أخرى في قبول المصريين

مسلمين، ونصارى للغة العربية، التي أصبحت الوعاء الثقافي للجميع، ولا شك أن هذا صنع نوع من التصور، والوعي، والتفكير المشترك، ولكن الأمور تغيرت فيما بعد، وخاصة منذ عام1972م بدأت أحداث الفتنة الطائفية تتكرر بدءاً من حادث الخانكة عام1972، ومروراً بحادث الزاوية الحمراء1981، مروراً بحادث الإسكندرية 2006م والمنشية، وصول...، وبعد تدخل الحكماء، والعقلاء تخرج مظاهرة من الطرفين تحمل شعار الهلال مع الصليب ثم نسمع النغمة المتكررة: الذي حدث لم يخرس الوحدة الوطنية، ومصر بخير، ولا داعي للقلق من تصرفات قلة متشددة هنا، أو هناك[1].

وفي الحقيقة فإن الحوادث الطائفية تتكرر، ونكاد نقول إنه منذ عام1972حدثت عشرات الحوادث الطائفية المعلنة، وغير المعلنة الكبيرة، والصغيرة، وفي كل مرة تتم معالجة المسألة بنفس الطريقة على طريقة دفن الرؤوس في الرمال، دون البحث عن الأسباب البنيوية الكامنة، ومحاولة علاجها جذرياً بهدوء وببطء، وفي وقت كاف، وليس إغلاق الجراح على ما فيها من صديد، وتكرار هذه الحوادث يؤكد أن هناك مناخ طائفي، واحتقان موجود أصلاً بين الطرفين، فما الذي حدث في الأربعين سنة الماضية، والذي أطاح بالعش الهادئ للوحدة الوطنية بين المصريين، والذي يدمي قلوب كل المصريين؟!.

إن الشيء المؤكد أن محاولات إشعال الفتنة الطائفية داخل مصر من وقت لآخر لا يستفيد منها إلا أعداء مصر، وحتى[لا نتهم باتباع نظرية المؤامرة] مع أنه لا ينكرها مراقب ذو عقل، وقلم محايد، وأن هذا العدو ليس له إلا مصلحة واحدة وهي الضغط علي مصر بكل الأوراق المتناثرة للتأثير في القرار السياسي من أجل مصالح استعمارية كلاسيكية وحديثة!.

إن ما يحدث الآن بين المسلمين، والنصارى هو عبارة عن أورام خبيثة تنخر في

(١)د. محمد مورو: من يخلف البابا شنودة؟، المصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى٢٠١٠م، ص٢٣.

داخل جسد يعاني من الفقر، والتبعية السياسية، والاقتصادية، وأن لعبة إشعال الفتنة الطائفية لعبة قديمة كان يمارسها الاحتلال الإنجليزي، والفرنسي في مصر منذ أيام الاستعمار لتحقيق مصالح خاصة على مبدأ «فرق تسد». وما يجب أن ينتبه له كل مخلص في هذا البلد أن مصر – حفظها الله – تمرُّ بظروف استثنائية، ومرحلة تاريخية حساسة في ظل ظروف إقليمية، ودولية بالغة التعقيد، وقد أصبح ظاهراً لكل ذي لب حجم ما يتربص بنا من المحن، والفتن التي أطلت برأسها، وأخذت تقذفُ بحممها ذات اليمين، وذات الشمال، ولابد بقيام الحكماء، والعقلاء من أهل هذه البلاد الغيورين عليها بدورهم المنتظر أمام هذه الفتن التي إن لم يتداعى الغيورون إلى علاجها فسوف يكون للجميع نصيب من شرها، وشررها.

إن المرحلة التي تمر بها بلادنا تحتاج إلى العلماء الربانيين، والمفكرين الصالحين المصلحين، والدعاة المخلصين، وإلى كل رجل في هذه البلاد قد رزقه الله حُسن البصيرة، ونقاء السريرة، وصدق العزيمة، وليس المجال مجالَ أصحابِ المصالح الضيقة، والأجندات المشبوهة، إنه قد آن الأوان للنفوس أن تتجرد من أهوائها، وأن تنسلخَ من مصالحها، وأن تعلم بأن الحفاظ على وحدة، وتماسك هذا الكيان الذي نعيشُ فيه هو من الأمور التي لا تقبل المزايدة، وخصوصاً بعد أن اجتمعت كلمات الجميع حكاماً، ومحكومين، علماء، وطلبة علم، دعاة، ومصلحين، مثقفين، ومفكرين، رجالاً ونساءً، شيوخاً، وشباباً على رفض المشاحنات، والمصادمات التي تحدث بين الحين، والآخر مما يحلو للبعض أن يطلق عليها: فتنة طائفية.

وعلى كره مني اقتحمت هذا الموضوع الشائك؛ فالحديث عن العلاقة بين المسلمين والنصارى منطقة ألغام اعتدنا الابتعاد عنها، ولكن حبي لهذا الوطن العزيز – مصر – وحرصي على مستقبله، وإدراكي للخطر القابع تحت الرماد، والذي يمكن أن ينفجر في أي لحظة ليقضي على الأخضر، واليابس، ولأني أرى أن الحلول التي تأتي عقب كل مشكلة، أو صدام، أو خلاف في الغالب عبارة عن بعض

المسكنات التي لم تضع حلاً نهائياً للمشكلة، وإذا كان من المناسب بالأمس التكتم، وإخفاء هذه الحالات إلا أنه ومع هذا الانفتاح الكبير في عالم الفضائيات لم يعد من المناسب تجاهل هذه الأمور، أضف إلى هذا أن معظم هذه الحلول تتجاهل الموقف الشرعي للدين الإسلامي، والدين النصراني.

وهذا البحث الذي بين يديك أيها القارئ محاولة جادة لوضع الجرس في رقبة القط لينتهي التوتر، والرعب من ظهوره بين الحين والآخر، وهو طرح أزعم أنه جديد، وجاد في نفس الوقت، يشهد الله – تعالى- أن الهدف منه الحفاظ على وحدة بلدنا، وتماسك أبنائه، وإخماد الفتنة قبل حدوثها، فالفتنة إذا نفخ فيها السفيه اتقدت نارها، وعظم شررها، وإذا وقعت الفتنة، وابتلى بها الناس تاهت العقول، واضطربت.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى-:« والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، وهذا شأن الفتن كما قال- سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾[1] وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله » ا هـ.

أري خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون له حزام
فإن النار بالعودين تذكي ... وأن الحرب أولها كلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام

إن قائمة مفردات الأزمة طالت بأكثر مما يحتمله مقال، أو أكثر، إلا أنه بات ضرورياً الوقوف عليها بجلاء، وتحديدها بدقة، والمبالغة في رصدها، ومن ثم في تفكيكها، وإعلان ذلك بالوسائل كافة بعناوين بارزة، فإن امتلكنا زمام كل عناصر الأزمة استطعنا إعادة تركيبها، وترتيبها وفق النصوص المقدسة في الإسلام،

(١)(الأنفال/ ٢٥).

والنصرانية، ويعرف كل صاحب حق حقه، لاسيما أن الجميع قد مل من استخدام المسكِّنات، والمخدِّرات التي لا تضع حلولاً جذرية لهذه المشكلة.

أما الجديد في هذا البحث هو: حصر الأسباب التي تؤدي إلى زيادة الاحتقان بين المسلمين، والنصارى، واجتهدت أن أضع لها حلولاً جذرية تتوافق مع العقيدة الإسلامية، ولا تصطدم مع العقيدة النصرانية الحالية، بحيث يقنع بهذا الحل المسلم المتدين، والنصراني المحافظ، وتسهم هذه الحلول في كشف قنعة التعصب، والتطرف هنا وهناك، فإذا اعترض معترض على طرح واجهناه بالنصوص المقدسة في الإسلام، والنصرانية.

والحق أن هذا الأمر تطلب جهداً مضاعفاً، وما جعل هذه الدراسة صعبة أنه لم تكن هناك دراسات صريحة متخصصة في هذا الموضوع تتناوله من هذا الجانب، ومع ذلك لا ينبغي لباحث أن يظن في نفسه الكمال، وينسب لها لفضل في إنجاز عمل لم يسبقه فيه أهل الفضل، والعلم، إنما يُحمد له جهد الجمع، والترتيب، والانتقاء، والتنظيم، والتصحيح، والتنقيح؛ فإن بضاعته في الأصل من متاجر، قوم سهروا على جمعها، وأفنوا أعمارهم لأجلها، فأودعوها أسفارهم، وتركوها لأحفادهم، وكل ما يعتمد عليه الباحث من فروع المصادر، والمراجع هو فضل يشكر عليه أهله، وسبق يُذكر لأصحابه، وما دون ذلك غمط للحق، وإنكار لفضل أهل السبق الأمر الذي ألزمني مراجعة بطون الكتب التي لها صلة بهذا الموضوع من قريب، ومن بعيد، وهناك عدة صعوبات أخرى منها:

أولاً: حساسية هذا الموضوع.

ثانياً: كثرة عوامل الاحتقان التي جمعها الباحث.

ثالثاً: وجود خلاف عقائدي، وتشريعي غائر بين الإسلام، والنصرانية.

رابعاً: تطلب هذا قراءة متأنية للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

وقد أسميت هذه الدراسة:

الفتنة الطائفية في أرض النيل وعلاجها من القرآن والإنجيل

وقد قسمت هذه الدراسة إلى:

المقدمة:

الفصل الأول: التعددية وقبول الآخر.

الفصل الثاني : لماذا مصر؟.

الفصل الثالث : عوامل الاحتقان.

الفصل الرابع: الحلول التي تزيد القضية تعقيداً.

الفصل الخامس : رؤية شرعية لحل هذه الإشكالية.

هذا ولا أدعي أني أتيت بما لم تستطعه الأوائل، كما أنني لا أدعي لعملي هذا العصمة، أو الكمال، فهذا شأن الرسل والأنبياء، ومن ظن أنه قد أحاط بالعلم فقد جهل نفسه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

وأخيرًا أرجو من الله تعالى أن يكون عملاً لوجهه خالصًا، ولعباده نافعًا، وأن يثيبني على كل حرف كتبته، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الكتاب، وأن ينفع به مؤلفه، وكاتبه، وقارئه، إنه سميع الدعاء، وأهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد السيد عبده عبد الرازق

الشرقية– الحسينية– شهداء٢ بحر البقر

(١)(الإسراء/ ٨٥).